المحاضرة الثامنة : الدرس الصوتي

تمهيد : في حَدّ اللغة الطبيعية يقول ابن جني بأنها : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ." يفهم من هذا التعريف ،أن اللغة الطبيعية هي الصوت الإنساني . و هو صوت معقد يختلف عن كل الأصوات الأخرى ، كالأصوات الفزيائية (احتكاك بين الأجسام ..)، و الأصوت الحيوانية (مواء القط ..)، و الأصوات الطبيعية (خرير الماء ..) . و هذا، لأن الصوت الإنساني يصدر عن الجهاز النطقي للإنسان ، و هو يحمل معنى يُعبر به عن الماضي و الحاضر و المستقبل . و بعبارة أوضح ، فهو ذو سمات تميزه عن أنواع الأصوات الأخرى ، و منها ، سمة التقطيع المزدوج ، في تصور اللساني أندريه مارتني ، و هو الذي يسمح بتقطيع اللغة إلى مستويين ، هما : مستوى وحدات دالة مثل الكلمات و الجمل .و مستوى وحدات غير دالة مثل المونيمات . و سمة الإبداعية في تصور اللساني تشومسكي ، و هي تعني القدرة الفطرية و اللامحدودة للإنسان على إنتاج و فهم عدد لا نهائي من الجمل الجديدة في لغته ، حتى التي لم يسمعها من قبل ، و ذلك بفضل الكفاءة اللغوية.إذن ، فالصوت اللغوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الأثر السمعي الناتج عن اهتزازات يصدرها الجهاز النطقي للإنسان بإرادة و قصد واختيار للإنسان . و هو يمثل المادة الخام للكلام و اللغة ، و يتم دراسته من حيث إنتاجه (المخارج ، و الصفات) و انتقاله (الموجات الصوتية) و استقباله (الأذن و الدماغ) . وهو موضوع علم الأصوات .

مفهوم الصوت اللغوي

الصوت في اللغة : ورد في لسان العرب أنه من " صوت تصويتا فهو مصوت ، و ذلك إذا صوت بإنسان دعاه، و هو على معنى الصيحة."

الصوت في الاصطلاح : يعرفه ابن سينا بأنه " ظاهرة فزيائية تحدث نتيجة تموج الهواء و دفعه بقوة و سرعة من أي سبب كان ." و يعرفه ابن جني بأنه " عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الفم و الحلق و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا ."

نستخلص من التعريفات السابقة ، للصوت اللغوي عند العلماء العرب القدماء ،

أن الدرس الصوتي اللغوي في التراث اللغوي العربي مؤسس و مؤصل ، من عدة جوانب ، منها ، الجانب العضوي الفسيولوجي (النطقي : المخارج و الصفات)، و الجانب الفيزيائي (خصائص الموجة الصوتية) ، و الجانب السمعي (جهاز السمع و الإدراك)،و الجانب الوظيفي (دور الأصوات في التمييز بين المعاني و تكوين الكلمات) . كما تم التمييز بين الصوت (ظاهرة مسموعة مادية مثل بَ ..) و الحرف (رمز كتابي مجرد مثل ب ، ت ..)

مفهوم الصوت اللغوي عند الباحثين العرب المحدثين :

يعرف بأنه " سلسلة من الذبذبات لا تفهم إلا داخل السياق اللغوي ." كما يعرف أيضا بأنه " يشكل الوسط المادي للغة الإنسانية ." و هو أيضا " مسموع ينتج عن اهتزاز جسم (أعضاء النطق) ، و تنتقل موجاته عبر الهواء ليتم إدراكها بالسمع ، و هو أساس الكلمة اللغوية .

إذن ، الصوت اللغوي ناتج عن العمل النطقي الذي يقوم به الإنسان الفرد . و تكمن أهميته في أنه يمثل الجانب العملي للغة ، و تحقيق الاتصال المشترك بين البشر. و العلم الذي يهتم بدراسة أصوات اللغة هو علم الأصوات ، أو الصوتيات .

أقسام علم الأصوات :

– علم الأصوات الأكوستيكي : يعنى بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية للأصوات

مفهوم علم الأصوات (الصوتيات) :

و هو أحد فروع علم اللغة ، موضوعه الأصوات اللغوية التي يصدرها الإنسان.و يعرفه إبراهيم أنيس في قوله : " يدرس الصوت كظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها. " و مجمل القول، يرتكز مفهوم هذا العلم – علم الأصوات – على دراسة الصوت اللغوي بمنهج علمي دقيق يركز على الجانب الفيزيائي (النطق ،و الانتقال ، و الإدراك)، و الجانب النظامي للغة (المخارج ،و الصفات، و القوانين الصوتية، بناء المقاطع الصوتية)، مع الاستفادة من التراث و تطويره باستخدام مناهج علمية حديثة .

فروع علم الأصوات : و هي تتمثل في ما يلي ،

*– علم الأصوات النطقي : و هو فرع يعنى بدراسة الأصوات فيزيائيا ، فيسمى هذا القسم بعلم الأصوات الأكوستيكي ، و يصطلح عليه محمود السعران بعلم الأصوات السمعي، و يعرفه بأ.نه " ما يتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته الصوتية في الهواء من فم المتكلم إلى أذن السامع ، و أثره السمعي ." و هو عند ماريو باي يشمل جانبين ، هما : الجانب الفيزيائي و الجانب الفيسيولوجي المتعلق بالسمع و إدراك الصوت.

* – علم الأصوات الوظيفي : و هو الذي يدرس أصوات اللغة من حيث وظيفتها التمييزية في نظام التواصل اللغوي.و هو قسمان :

أ – الفونيمات التركيبية أو القطعية ، تحتوي اللغة العربية على خمس و ثلاثين فونيما قطعيا (تركيبيا) ، و هي كالتالي :

1 – ثلاث فونيمات للعلل القصيرة

2 – ثلاث فونيمات للعلل الطويلة

3 – فونيمان لأنصاف العلل

4 – سبع و عشرون فونيما للسواكن

ب – الفونيمات فوق التركيبية أو القطعية ، و هي تتمثل في ما يلي :

* – النبر: الضغط على أحد مقاطع الكلمة في نطقها .

* – الطول : و هو يخص العلل (الفتحة الطويلة ، و الضمة الطويلة ، و الكسرة الطويلة .

* – المفصل : سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع كلام .

* – التنغيم : يستخدم في اللغات للدلالة على المعاني الإضافية.

الفرق بين الفونيمات القطعية و الفونيمات فوق القظعية ، فالأولى تعنى الأصوات اللغوية الفردية التي تشكل الكلمات ، مثل الحروف و الحركات القصيرة و الطويلة .بينما الثانية ، هي فونيمات ثانوية، و هي خصائص صوتية تظهر في الكلام المتصل، و تغير المعنى في الجملة ، كا لنبر .

و حاصل الكلام ، الفونيمات القطعية هي مكونات الكلمة الثابتة ، بينما الفونيمات فوق قطعية ، هي عناصر فوق الكلمة المتغيرة .

الفرق بين الفونيمات والألفون (الأفون ، وحدة صوتية في بيئة نطقية واحدة، تغيرها لا يؤدي إلى تغيير في المعنى . مثل : قال / آل / ..) . و الفونيم مثل : سال / نال ..

حركة أعضاء النطق ،من أجل إنتاج أصوات الكلام ، أو الذي يعالج عملية إنتاج الأصوات اللغوية و طريقة هذا الإنتاج . وأعضاء النطق ليست أعضاء مختصة بالكلام وحده . لذلك ، فهو يهتم بدراسة مخارج الأصوات و صفاتها .